

واقع الجامعة الجزائرية ما بين التعليم التقليدي و التعليم عن بعد - دراسة استطلاعية
بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف-

The reality of the Algerian university between traditional education and
distance education - an exploratory study
at Hassiba Ben Bouali University in Chlef –

1 بن علال فاطمة الزهراء *

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، benallalfatima@hotmail.com

تاريخ الارسال 2023/01/22 تاريخ القبول 2023/02/17 تاريخ النشر 2023/03/20

ملخص:

حاولنا من خلال هذه الدراسة، تسليط الضوء على نوعية التعليم في الجزائر وبالضبط في الجامعة. فقد ارتبط بالتغيرات الحاصلة، التي مرت بها الجزائر، و التي كانت أبرزها "جائحة كورونا". مما لا شك فيه أنّ ذلك خلق آثارا على جودة التعليم في حدّ ذاته. إذ أنّه اتخذ شكلا آخر، لم يتمّ عهده سابقا، فبحصول هذا النوع من التعليم لابد أن يكون قد حمل في طياته خصائص وآثارا إيجابية وسلبية على الأساتذة والطلبة، و خلق علاقة يمكن القول أنّها شبه افتراضية بينهما. فقد كانت ولا زالت تجربة أكاديمية قائمة في الجامعات الجزائرية. حتى مع زوال الجائحة، والتوجه نحو التعليم الحضوري. لازال التعليم عن بعد قائما، ويتمشى مع التعليم التقليدي، الذي لا يمكن الاستغناء عنه .

الكلمات المفتاحية: التعليم، التعليم الجامعي، التعليم التقليدي، التعليم الحضوري، التعليم عن بعد.

Abstract :

Through this study, we tried to shed light on the quality of education in Algeria, specifically at the university. It was linked to the changes that Algeria went through, the most prominent of which was the "Corona pandemic". Undoubtedly, this created implications for the quality of education itself. Since it took another form, which was not previously known, the occurrence of this type of education must have carried with it characteristics and positive and negative effects on teachers and students, and created a relationship that can be said to be almost hypothetical between them. It was and still is an academic experience in Algerian universities. Even with the end of the pandemic, and the trend towards urban education. Distance education still exists, and is in line with traditional education, which cannot be dispensed with.

Keywords: education, university education, traditional education, urban education, distance education.

1. مقدمة:

شهد العالم تغيرات حاصلة على مستوى التعليم الجامعي، وتم تفعيل التعليم الإلكتروني، أو التعليم عن بعد في ظلّ "جائحة كورونا"، التي اجتاحت العالم وكانت الجزائر من بين الدول، التي مسّها هذا التغير النمطي على مستوى التعليم. ارتبط هذا التغير الحاصل في فترة معينة من الجائحة، التي دامت لأكثر من سنتين، لكن آثاره مازالت مستمرة. و في المقابل لا يزال التعليم التقليدي قائما.

وكانت الجزائر من بين الدول التي اعتمدت على تطبيق ذلك في برامجها التعليمية، ونخص بالذكر التعليم العالي أو التعليم الجامعي. فما هو واقع التعليم في الجامعة الجزائرية في فترة الجائحة وما بعدها؟ وماهي التأثيرات المرتبطة بالتعليم في فترة تفشي الجائحة وفيما تمثلت الآثار التي خلفها التعليم عن بعد على الأساتذة و الطلبة؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من وضع نموذج للدراسة التي خصت الجامعة، وقد قمنا باختيار جامعة حسينة بن بوعلي بالشلف، كونها تخدم المتطلبات البحثية، وقد حددنا كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية وخصصناها مجالا لدراستنا. وقمنا بوضع خطة بحثية شملت مجموعة من العناصر المهمة، التي تتماشى وطبيعة البحث.

2. تحديد المفاهيم الأساسية:

حتى نتمكن من تقديم دراستنا و وصف إطارها العام لابد من شرح بعض المفاهيم الأساسية التي ينبغي على الباحث إجرائها، و تقريبها للواقع التعليمي الجامعي، و قد جاء عرضها كالتالي:

1.2. التعليم الجامعي: يقصد به التعليم العالي، و هو كلّ نمط للتكوين أو للتكوين للبحث، يقدم على مستوى ما بعد التعليم الثانوي من طرف مؤسسات التعليم العالي، (قانون رقم 99-05. 1999)¹.

2.2. التعليم التقليدي: هو ذلك الأسلوب المعتمد على الوسائل التعليمية التقليدية القديمة، التي تعتمد بشكل أساسي على تلقين المنهاج و المحتوى للطلاب و استخدام تلك الوسائل التعليمية القديمة مثل: الكتاب، السبورة، الأفلام². و يركز التعليم التقليدي على ثلاثة محاور أساسية، و هي: المعلم و المتعلم و المعلومة. وقد وجد التعليم التقليدي منذ القدم و هو مستمر حتى وقتنا الحاضر. و لا نعتقد أنه يمكن الإستغناء عنه كليا لما له من إيجابيات، فلا يمكن أن يوجد أيّ بديل آخر. فمن أهمّ إيجابياته: إلتقاء المعلم و المتعلم وجها لوجه³.

حيث أنه قد تمّ التعود على هذا الشكل من التعليم، نظرا لبساطته و سهولة تلقينه، ونوعية العلاقة القائمة بين الأساتذة و الطلبة، التي يطغى عليها الإلتصال الشخصي ويكون له وقع خاص. ما يسمح بإمكانية فهم الرسالة القائمة بين الأستاذ و الطالب والمتمثلة في المعلومات، فمبدئيا يتمّ التأكد من وصولها. وهو ما يزيد من قيمة العملية الإتصالية بين المرسل (الأستاذ) و المستقبل (الطالب).

3.2. التعليم عن بعد: هو ذلك الأسلوب المعتمد على الوسائل التعليمية الحديثة و الغير تقليدية والتي تعتمد بشكل أساسي على استخدام التكنولوجيا، والوسائل التعليمية الحديثة المتمثلة في: أدوات و تقنيات الإتصال والتواصل، التي تعتمد بشكل أساسي على الأنترنت، بهدف إيصال المعلومات إلى الطلاب بطريقة أسهل وأوضح وأبسط⁴. فهو عملية نقل المعرفة إلى المتعلم في موقع إقامته أو عمله، بدلا من انتقال المتعلم إلى المؤسسة التعليمية، وهو مبني على أساس إيصال المعرفة و المهارات والمواد التعليمية إلى المتعلم عبر وسائط وأساليب تقنية مختلفة، حيث يكون المتعلم بعيدا أو منفصلا عن المعلم أو القائم على العملية التعليمية⁵.

وقد يكون استعمال هذا النظام استغناء عن النظام التقليدي و قد يكون بديلا عنه، أو يتماشى معه في ظل ظروف إستثنائية، أو كتكملة له. وقد حرصت الجامعة الجزائرية على تفعيله، وهنا نخص بالذكر جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، التي فعلت هذا النظام ولجأت له في ظلّ "جائحة كورونا"، إلاّ أنّه و بعد مرور الجائحة لازال قائما، حيث يستعمل لوضع بعض المقاييس الاستكشافية، و التي توضع على مستوى منصة التعليم بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (مودل). ولو حاولنا تقديم تعريف لمنصة "مودل" "Dynamique Learning" "Modular Object- Oriend": طورت المنصة في أستراليا عام 1999، من طرف " Martin Dougiamas" أطلقته شركة MOODLE.com عام 2003. تعتبر المنصة بيئة تعلم افتراضية، سعيًا لتوفير أداة للتربويين تمكنهم من إنشاء مقررات إلكترونية تسهل على الطلبة اقتناء الدروس بصفة منظمة، كما تسمح بدعم التعليم و الدروس عن بعد بطرق متعددة. تضمّ المنصة ثلاث فئات: مسيرّ المنصة، فريق التنشيط والمتعلمين. لكلّ واحد من هذه الأصناف مساحة عمل و أدوات خاصة به⁶. وقد بدأ العمل بالمنصة وتفعيلها مع بداية انتشار وباء كورونا، حيث تمّ فتح حسابات شخصية لكلّ الأساتذة و قد لجؤوا إليها من أجل وضع برامجهم التعليمية، بما في ذلك من محاضرات و أعمال موجهة للطلبة، وكانت المنصة وسيلة لتواصل الأساتذة والطلبة، خلقت شكلا من الإتصال التفاعلي، و فيها استمرارية للتعليم الحضوري، و قد لجأت جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، إلى استعمال " منصة مودل " كضمان لاستكمال العملية التعليمية.

4.2. جائحة كورونا: هي جائحة عالمية استمرّت لمرض فيروس كورونا، سببها فيروس كورونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة، وتفشّي المرض للمرة الأولى في مدينة "ووهان" الصينية، ثمّ أعلنت منظمة الصحة العالمية رسميا، أنّ تفشي الفيروس يشكل حالة طوارئ صحية عامة تبعث على القلق الدولي، و أكدت تحول التفشي إلى جائحة⁷. وقد سميت بالأزمة (أزمة كورونا أو Covid-19)، التي مست المجتمعات وانجرت عنها تغيرات وتأثيرات على جميع المجالات الاجتماعية و الاقتصادية و الصحية و التعليمية في شتى دول العالم.

3. واقع التعليم الجامعي في الجزائر في ظل التغيرات الاجتماعية الحاصلة:

مما لا شك فيه أنّ التعليم في مختلف مراحله اتخذ عدة أشكال، راجعة إلى التطورات الحاصلة، التي عرفتتها المجتمعات الإنسانية، فقد عرفت مراحل انتقالية واسعة. تماشيا والظروف الاجتماعية الراهنة، التي على رأسها "جائحة كورونا" ومتطلبات العصر والحاجة إلى التكنولوجيا وتفعيلها للحاق بالركب الحضاري، حيث أنه كان لابد من الخروج من النمط التقليدي ومحاولة الانغماس في نمط جديد يدعونا إلى الدخول في مجتمع معرفي قائم على تجهيزات تكنولوجيا المعلومات و مختلف الوسائط، التي مكنتنا من تفعيل سياسة التعليم الجامعي في شكلها الجديد (عن بعد)، وهو ما سمح بحدوث تغيرات على المجتمع الجامعي و الأسرة الجامعية في حدّها وخلق آثارا على مستوى عملية التفاعل والعلاقات الاجتماعية، لكن في الحين نفسه لا يمكن التغافل عن وجود التعليم التقليدي، الذي لم تمحى آثاره بوجود السابق ذكره.

فقد عرفت الجزائر على غرار دول العالم، تغيرات على مستوى المجتمع. مسّت الأسرة الجامعية بشكل خاص، وهنا نخص بالذكر نوعية التعليم الذي طرأت عليه بعض التغيرات، حيث اتخذ الشكل الإلكتروني أو عن بعد، بعدما تمّ التعود على صبغته التقليدية (التعليم التقليدي)، وهو ما خلق آثارا حول جودة التعليم، مسّت الطلبة على وجه الخصوص، باعتبارهم الفئة المستهدفة.

1.3. أساسيات التعليم في الجامعة الجزائرية:

مما لا شك فيه أنّ الجزائر أخذت على عاتقها مجانية التعليم في كافة الأطوار، مع المسؤولية على الإشراف والمتابعة المالية لكافة البحوث و المشاريع و البعثات العلمية، والمعروفين اليوم بوزارة التربية و التعليم، ووزارة التعليم العالي و البحث العلمي⁸. و لو خصّصنا بالذكر التعليم الجامعي، يمكننا القول أنّ التعليم مجاني، ويمكن للطلبة على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية أن يكملوا تعليمهم الجامعي، فالطالب الجامعي لديه مجموعة من الحقوق من بينها: السكن المجاني في الإقامة الجامعية، النقل، الإطعام، بالإضافة إلى المنحة، التي يمكن أن يستفيد منها، ومختلف النشاطات التعليمية والترفيهية والرياضية، التي يمكن للطلبة مزاومتها. وهذا برأينا يشكل حافزا للشباب الجزائري حتى يكمل تعليمه الجامعي ويهيئ نفسه للحياة المهنية و المستقبلية.

ولو حاولنا ذكر مبادئ التعليم الجامعي في الجزائر لوجدنا أنّه يتركز على أربعة مبادئ أساسية، جاءت نتيجة الإصلاح الجامعي لسنة 1971، والتي تترجم سياسة التعليم بصفة عامة و التعليم الجامعي بصفة خاصة، وفق إستراتيجية جديدة و شاملة. تهدف إلى تحقيق المبادئ التالية: "ديمقراطية التعليم، الجزأة، التعريب، إعطاء الأولوية للتكوين العلمي والتكنولوجي".

أمّا بالنسبة لأهمّ الوظائف، التي يمكن أن تقدمها الجامعة، فنجد أنّها تقوم بجملة من الوظائف، التي قد تكون مباشرة أو غير مباشرة في المجتمع، من بينها: التنشئة الاجتماعية للجامعة، الوظيفة الاجتماعية المهنية للجامعة، الوظيفة الثقافية المعرفية للجامعة⁹. حيث أنّ الجامعة تشكل دورا مهما و أساسيا في عملية التكوين الاجتماعي

والثقافي وحتى الاقتصادي، إذ أتمّا تعمل على تكوين الطلبة في شتى المجالات، بغضّ النظر عن اختلاف تخصصاتهم، بالإضافة إلى عملية التأهيل التي يمكن أن تقدمها، كتأسيس للحياة المهنية. وما يحفز و يساعد الطلبة على تقدمهم الفكري و تهيئتهم الثقافية و الاجتماعية، تلك المبادئ التي تعمل الجامعة الجزائرية على تطبيقها.

2.3. واقع التعليم الجامعي في الجامعة الجزائرية ما بين التعليم التقليدي و التعليم عن بعد: دراسة استطلاعية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف:

حاولنا تقديم دراسة استطلاعية حول واقع التعليم الجامعي بالجامعة الجزائرية، تضمنت وصفا و تحليلا، ووقع اختيارنا على جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف و بالضبط (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية)، كوننا على قرب و احتكاك بالظروف التعليمية التي تمر بها الكلية، فكانت أنموذجا يمكن التوقف عنده. كما سبق وأشرنا في تقديم بحثنا إلى نوعية التعليم الجامعي، التي خصصناها في نوعين: التعليم التقليدي و التعليم عن بعد. وجدنا أنّ العديد من الدراسات الميدانية التي تناولت نماذج مختلفة من الجامعات الجزائرية، ركزت فيها على التعليم عن بعد في ظل جائحة كورونا، فالملاحظ أنّ التعليم عن بعد في الجزائر تمّ تفعيله في ظل تفشي جائحة كورونا، تماشيا مع الأوضاع الاجتماعية و الظروف الصحية التي مرّت بها البلاد و قرار الغلق الذي مسّ الجامعة الجزائرية ابتداءً من 12 مارس 2020 . فارتبطت الأوضاع بالحجر الكلي ثم الجزئي، ممّا استدعى وجوده (التعليم عن بعد). لكن بعد استقرار الوضع الصحي نوعا ما و هبوط مستويات الجائحة، جاء قرار وزاري بضرورة عودة الطلبة إلى الجامعة و إتباع نظام الدفقات، تجنبا لازدحام الطلبة وإنتشار أعراض الوباء و حفاظا على سلامة الأسرة الجامعية من طلبة و أساتذة و عمال و موظفين. وما يمكننا رصدّه عن كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، أنّه قد تمّ تلقين المحاضرات والأعمال الموجهة المتعلقة بالمقاييس الأساسية وتقليص حجمها الساعي، وقد تراوحت المدة الزمنية إلى ساعة للمحاضرة وساعة للأعمال الموجهة بعد أن كانت ساعة ونصف، فالمدة الزمنية للتعليم تقلصت وصار عمرها ساعتين من الزمن بعد أن كانت ثلاث ساعات. و قد تمّ التزاوج بين التعليم الحضوري والتعليم عن بعد في الفترة المستمرة ما بين أواخر السنة الدراسية: 2020 إلى 2021 ثمّ من 2021 إلى غاية جويلية 2022. فقد كان الأساتذة يقدمون شرحا للمحاضرات: يتناولون فيها أهمّ النقاط و المحاور الكبرى للموضوع المطروح، وما على الطلبة سوى اللجوء إلى "منصة مودل"، وهي البوابة الوطنية للتعليم عن بعد من أجل تحميل المحاضرات كاملة واستكمال التفاصيل. أمّا بالنسبة للمقاييس الاستكشافية (الموجهة للتدريس عن بعد)، فيتّم وضع إعلانات للطلبة على صفحة "الفايس بوك" الخاصة بكلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، فقد كانت ولازالت هذه الصفحة وسيلة ربط بين الأساتذة و الطلبة و الإدارة. حيث يقوم الأستاذ بإعلام الطلبة عن وجود الدروس على المنصة مع وضع رابط الدخول أحيانا، هذا بالنسبة للمقاييس التي تحتوي على المحاضرة. أمّا بالنسبة للمقاييس التي تحتوي على الأعمال الموجهة، فيتّم وضع القائمة والإعلان عنها في نفس الصفحة. ولا

يمكن أن نغفل أنّ الأستاذ كان كذلك يضع طريقة التقييم في الإعلان، و موعد الإمتحان و يحدد فترة إستلام الأعمال (ورقية أو إلكترونية). وقد كان يتمّ الإمتحان عن بعد، ولاحقا صار جلّ الأساتذة إن لم نقل كلهم يفضلون قيام الطلبة بالإمتحان حضوريا، نظرا لعدم مصداقية الأجوبة و الاختلالات الناجمة عن سلوكياتهم.

3.3. التأثيرات المرتبطة بالتعليم الجامعي في فترة تفشي الجائحة و انعكاساتها على التعليم في فترة ما بعد الجائحة:

مع بداية السنة الدراسية: 2022-2023، صار التعليم حضوريا وعادت المقاييس الأساسية إلى حجمها الساعي العادي، لكن بالمقابل لازال التعليم عن بعد قائما بالنسبة للمقاييس الاستكشافية، ويمكننا ذكر مثال على ذلك متمثل في اللغتين الأجنبية: الفرنسية والإنجليزية، بالنسبة للأطوار المختلفة و اللغة الأمازيغية بالنسبة لتخصص الأنثروبولوجيا (أحد المستويات).

حيث تمّ تداول الدراسة بشكل حضوري و رجع التعليم العادي المتعود عليه ما قبل الجائحة، بالحجم الساعي المخصص للمحاضرات (ساعة و نصف) و الأعمال الموجهة (ساعة و نصف). و هنا نقصد الرجوع إلى التعليم في نمطه التقليدي، الذي يتطلب حضور الأستاذ و الطلبة و الأخذ بعين الاعتبار (حضور و غياب الطلبة)، و يتمّ تقييمهم حسب ذلك. لكن ما يمكن قوله أنّ العودة إلى التعليم في شكله الحضوري كان تغييرا جذريا للنمط الذي تعود عليه الطلبة خلال سنتين دراسيتين (2020-2021). حيث صار التعليم حضوريا ويكون غالبا شبه يومي، حسب المقاييس الأساسية المبرجة. وما يلاحظ أنه أثر على الطلبة لأنهم تعودوا على نظام الدفعات (الذين كانوا يدرسون 15 يوما أو شهرا ويرتاحون نفس المدة). ما يمكننا قوله أنّ تلك الفترة التي يقضيها الطلبة خارج الجامعة، قد تحدث انقطاعا شبه تام عن ما يدور داخلها، و هو ما سبّب تشتتا فكريا لهم. فعند دخولهم الدراسي ومزاوتهم الدراسة من جديد، يتطلب الأمر جهدا مضاعفا من الأستاذ سعيا لاستيعاب الطلبة. و بحكم احتكاكنا بالطلبة، و هنا نخصّص طلبة الأنثروبولوجيا في جميع المستويات (ليسانس، ماستر)، لاحظنا أنهم تأثروا كثيرا بهذا النمط من التدريس (عن بعد)، ممّا أثر سلبا على تحصيلهم الدراسي، ومن بين الآثار الناجمة عن ذلك، نسيان الطلبة و تراجع مستوياتهم، و السبب في ذلك انقطاعهم عن الجامعة لفترة معينة. حتى طريقة إنجاز البحوث، لم نجد مصداقية مئة بالمئة، فلقد تمّ تجاوز الإعتماد على المراجع الورقية وتمّ الاعتماد على المراجع الإلكترونية (المقبولة من قبل الأساتذة غالبا)، لأنّ الفترة الصحية الحساسة، التي مرت بها الجامعة كانت تتطلب تقديم تساهلات من طرف الأساتذة و الإدارة. و ما يعيب الطلبة أنّهم تعودوا على تلك الأريحية، إن صحّ التعبير في البحث. وفي إطار تراجع المستوى دائما، لاحظنا اعتمادهم على البحوث الجاهزة من الأنترنت في معظم الأحيان. وإن لم تكن جاهزة فهم يلجؤون إلى محركات البحث، تسهيلا لعملية البحث. دون تركيزهم على المحتوى و المصداقية. وهو غالبا ما يثير غضب الأساتذة، إلّا أنّهم تعودوا على مستويات الطلبة.

والملاحظ كذلك أنّ الطلبة في المستويات النهائية (الليسانس 3 و الماستر2)، لم يعرفوا نشاطا بحثيا عاليا، خلال إنجازهم لتقاريرهم الميدانية و مذكراتهم، وكان يتطلب ذلك ضبطا من الأساتذة، من أجل تفعيل العملية البحثية. و يتمّ اللجوء إلى الإدارة غالبا من أجل الإعلانات، خاصة في شكلها الافتراضي (الإعلانات على صفحة الفاييس بوك الخاصة بالكلية كما أشرنا سابقا)، وما يعاب عليهم أنّ أغلبهم تأخروا في إنجاز مذكرات التخرج الخاصة بهم، و اضطرت إدارة الكلية بموافقة من العميد طبعاً، إلى تمديد الآجال المتعلقة باستلام أعمالهم البحثية. ثمّ وضع دورة ثانية إستدراكية، على غرار الدورة العادية. كما أنّ المذكرات كانت تسلم و تمرّ بمرحلة التقييم من قبل المشرف و اللجنة المناقشة، دون مناقشتها، و يتمّ وضع التنقيط بناء على الجانب الشكلي (جودة الإخراج، احترام واجهة موحدة، إعداد الصفحات...)، الجانب المنهجي، الجانب النظري، الجانب الميداني أو التطبيقي. و قد كان الطلبة راضين بعدم مناقشتهم لمذكراتهم، بعد تعميم القرار على الكلية، حيث أنهم ومنذ بداية السنة الجامعية، كان أغلب همّهم ما إن كانت ستناقش مذكراتهم أم لا.

ما يمكن قوله هو أنّ التعليم عن بعد حمل في طياته العديد من الآثار، التي لازمت التعليم التقليدي. فقد كان تجربة جامعية بالنسبة للأساتذة و الطلبة على وجه الخصوص، وقد شكّل تحديا كبيرا بالنسبة للأساتذة والطلبة، على حدّ سواء، و قد كان هذا اللجوء إضطراريا. ارتبط بجائحة كورونا (كنّا قد أشرنا إلى ذلك سابقا). لقد حدثت مرحلة انتقالية، على مستوى الجامعة الجزائرية (الإنتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم عن بعد)، و قد تزامن التعليم التقليدي مع التعليم عن بعد، و صارا يتماشيان مع بعض تماشيا و الظروف الصحية، التي عرفتها البلاد. ما يلاحظ أنّه في بداية التعليم عن بعد عرف تصادما بحكم التعود على التعليم التقليدي، و في حين بداية تعود كلّ من الطلبة والأساتذة على هذا النمط، انتقل التعليم في مرحلة سمينها بمرحلة ما بعد الجائحة، إلى التعليم الحضوري، وقد حمل في طياته التعليم عن بعد لبعض المقاييس الاستكشافية. كما أشرنا سابقا. وما لاحظناه كذلك أنّه بالرجوع إلى التعليم الحضوري، تمّ الرجوع إلى العملية التعليمية في شكلها التقليدي، واعتماد الأساتذة والطلبة على الحضور والتفاعل بشكل مباشر في العملية التعليمية (المقاييس الأساسية).

4.3. الآثار الإيجابية و السلبية للتعليم عن بعد في ظلّ جائحة كورونا (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف أنموذجا) :

لقد حمل التعليم عن بعد في طياته آثارا إيجابية، انعكست على الأسرة الجامعية بشكل عام، أبرزها حصول تطور على مستوى الخدمات التقنية المتعلقة بالجامعة و تفعيلها، و ذلك بالإنتقال من ماهو تقليدي (استعمال الورق) إلى ما هو إلكتروني (دون ورق) واللجوء إلى رقمنة الخدمات، التي أساسها الإتصالات، وما تحتويه من وسائل تتيح التواصل خاصة بين الأساتذة و الطلبة بشكل مباشر ومستمر و متواصل. وقد انعكس ذلك إيجابا

على التعليم الإلكتروني، بفعل إنتشار المعلومات وتدفقها وخلق نمط إتصال تفاعلي سواء باستعمال منصة التعليم عن بعد، أو اللجوء إلى العالم الافتراضي (صفحات الفاييس بوك خاصة)، وتفعيل العملية الإتصالية والتأكد من نجاحها.

أما بالنسبة للآثار السلبية، فقد شكّل التعليم عن بعد ضغطا و خلق أثرا على العامل النفسي و المادي. بالنسبة للأساتذة خاصة الجدد حيث تزامنت فترة التعليم عن بعد مع الموجة الأولى للجائحة، وفي نفس الوقت تزامن كذلك مع تكوين الأساتذة، فقد كانوا يمرون بمرحلة التكوين، التي فرضتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والهدف من ورائها إقبالهم وانفتاحهم على التقنيات الجديدة ببرامجها المتنوعة. ومع عدم تنقلهم والتقاءهم بفعل الحجر الصحي، وعدم الإطلاع على مثل هذه البرامج من قبل، و الحالة النفسية بفعل إرتفاع عدد الوفيات بشكل مستمر، كلها عوامل تسببت في ضغط نفسي كبير على الأساتذة. لا يمكن سحب الطلبة من الضغوطات النفسية خلال تلك الفترة، أضف إلى ذلك العامل المادي و يمكننا تقديم صورة عن ذلك.

يمكن القول أنّ التعليم لم يتوفر بشكل عادل للمتعلمين، وهو ما أثار نوعا من الضغط على الطلبة وأهاليهم. وحتى الأساتذة، لا يصلون إلى مرحلة من الرضا عن ما يحصل. حيث يكون نوعا من عدم إستجابة الرسائل، أو التأخر في استجابتها. وهنا نتحدث عن المحتوى الشائع، الذي يقدمه الأساتذة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الذي يكون غالبا في شكل ملفات (pdf أو word)، متاحة على المنصة، توضع فيها المحاضرات بصياغة معينة. فالإمكانيات المادية غير المتاحة لكل الطلبة تحول دون استقبال ما قد يطرحه الأساتذة. وهنا نقصد تحديدا الوسائل، التي تمكننا من الحصول على المعلومة. في مقدمتها: الجهاز الإلكتروني (كمبيوتر، هاتف ذكي) وتدفق الأنترنت بشكل مستمر. فبعد استفسارنا من الطلبة، وجدنا أنّ بعضهم لا يملكون حتى الأنترنت، ولا تتوفر مقاهي الأنترنت بالقرب من بيوتهم، إضافة إلى الفترة الصحية العصبية وإجراءات الحجر الصحي. وبالتالي لا تصلهم المعلومات الكافية، ممّا أحدث خللا على مستوى التواصل والإتصال: إرسال وإستقبال بين الأستاذ و الطالب والتفاعل بينهما. حيث كان يتم الإتصال بينهما في شكل آخر مباشر ومنح المعلومات بالطريقة التقليدية وهنا نقصد منح النسخة الورقية مباشرة للطلاب. أو بين الطلبة في حد ذاتهم وتبادلهم الأفكار و المعلومات بين بعضهم البعض.

وفي جانب آخر لا يمكننا التغافل عنه، من ناحية القيام بالدراسات الميدانية على مستوى التخصصات الاجتماعية، وجدنا صعوبة واجهها الطلبة حالت دون القيام بها على أكمل وجه، نظرا للوضع الصحي الذي كان قائما وحال دون تنقل واحتكاك الطلبة بعينة الدراسة وعدم وجود أريحية و ضيق في العامل الزمني، لأنّ السنة الدراسية 2021، كانت استكمالا للسنة الدراسية 2020، التي تم فيها تطبيق التعليم عن بعد بشكل كلي، وبعدها استأنفت الدراسة بدءا بالمراجعة و إجراء الامتحانات بهدف إكمال السداسي الثاني، الذي تمّ التوقف عنه في التعليم الحضوري إبتداء من تاريخ: 12 مارس 2020، وبعدها الشروع في سنة دراسية جديدة مع برمجة

نظام الدفعات، تجنباً لإحتكاك الطلبة بفعل عددهم الكبير وحفاظاً على سلامتهم و صحتهم. فالطلبة لم يكن لهم التكوين الكافي و الخبرة، نظراً للوضعية الصحية الحساسة، مما أحدث قلقاً و ضغطاً كبيرين فيما يخص إنجازهم لمذكرات التخرج الخاصة بهم (طلبة ماستر2).

4. خاتمة:

ما يمكن قوله ختاماً أنّ التعليم في الجزائر عرف تحديات كبيرة، خلال فترة الجائحة، جعلت الجامعة الجزائرية تفعلّ التعليم عن بعد، الذي كان و لا يزال تجربة جامعية، حملت ولا زالت تحمل آثاراً إيجابية لكل من الأساتذة والطلبة خاصة، وفي المقابل وجدنا آثار التعليم التقليدي مترسخة في الجامعة الجزائرية و بالضبط جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية)، ما يجعلنا نقول أنّ وجود التعليم عن بعد لم يحو آثار التعليم التقليدي، و حالياً في فترة ما بعد الجائحة، لاحظنا تفعيل النوعين. فكلاهما يخدمان الطلبة، والهدف من ورائهما هو التحصيل الدراسي الجيد للطلبة.

5. الهوامش:

¹ - ورودة خلاف، التعليم الجامعي عن بعد في مواجهة جائحة كورونا- جامعة سطيف 2 نموذجاً، مجلة الرسالة للدراسات و البحوث الإنسانية، المجلد: 07، العدد: 02، أبريل 2022، ص 24.

² - مروان عبد الله مصطفى العوايشة، أثر التعليم عن بعد و التعليم التقليدي على التحصيل الأكاديمي عند طلبة الصفوف الثلاث الأولى في مدارس العاصمة عمان من وجهة نظر المعلمين و أولياء الأمور (دراسة مقارنة)، مجلة كلية التربية، جامعة عين الشمس، العدد الخامس و الأربعون (الجزء الأول)، 2021، ص 22، بتصرف.

³ - علاوية حسيبة، العلوم الإجتماعية بين التدريس التقليدي و التدريس المعاصر، دراسة ميدانية بكلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة وهران 2، السنة الجامعية: 2014-2015، ص 151، بتصرف.

⁴ - نفسه ص 23، بتصرف.

⁵ - التعليم عن بعد، مفهومه، أدواته و استراتيجياته، دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني و التقني، نشر من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية و العمل و الثقافة، اليونسكو 2020، ص 14.

⁶ - فطيمة راجحي، معوقات التعليم الإلكتروني في الجامعة الجزائرية - دراسة استطلاعية لطلبة جامعة الجزائر3- مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 13 (العدد1). الجزائر: جامعة زيان عاشور الحلفة، ص 247، نقلاً عن حسينة أحمد (2018)، درجة رضا الأساتذة الجدد على مخطط التكوين: تصميم واستعمال درس على منصة MOODLE، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15(64)، ص 247.

⁷ - سمير مهدي كاظم، واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا، من وجهة نظر الطلبة و أعضاء هيئة التدريس، رسالة قدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية، تخصص المناهج و طرق التدريس. تحت إشراف: حامد العبادي، جامعة الشرق الأوسط، حزيران، 2021، ص 7، نقلاً عن منظمة الصحة العالمية، 2020، بتصرف.

⁸ - سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر الواقع و الآفاق، مجلة البحوث التربوية و التعليمية، المجلد 9، العدد: 2(2020) ص 114.

⁹ - بوخودوني صبيحة، بن عاشور الزهرة، سياسة التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19، دراسة تحليلية للتعليمات و القرارات الصادرة من وزارة التعليم العالي و البحث العلمي الجزائرية، مجلة مدارات سياسية، المجلد (04)، (2020)، ص 61، بتصرف.

قائمة المراجع:

- 1- وردة خلاف، التعليم الجامعي عن بعد في مواجهة جائحة كورونا- جامعة سطيف 2 نموذجاً، مجلة الرسالة للدراسات و البحوث الإنسانية، المجلد: 07، العدد: 02، أبريل 2022
- 2- مروان عبد الله مصطفى العوايشة، أثر التعليم عن بعد و التعليم التقليدي على التحصيل الأكاديمي عند طلبة الصفوف الثلاث الأولى في مدارس العاصمة عمان من وجهة نظر المعلمين و أولياء الأمور (دراسة مقارنة)، مجلة كلية التربية، جامعة عين الشمس، العدد الخامس و الأربعون (الجزء الأول)، 2021.
- 3- علاوية حسبية، العلوم الاجتماعية بين التدريس التقليدي و التدريس المعاصر، دراسة ميدانية بكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة وهران 2، السنة الجامعية: 2014-2015.
- 4- التعليم عن بعد، مفهومه، أدواته و استراتيجياته، دليل لصانعي السياسات في التعليم الأكاديمي والمهني و التقني، نشر من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية و العمل و الثقافة، اليونسكو 2020.
- 5- فطيمة راجحي، معوقات التعليم الإلكتروني في الجامعة الجزائرية - دراسة استطلاعية لطلبة جامعة الجزائر3- مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 13 (العدد 1). الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص 247، نقلاً عن حسينة أحمد (2018)، درجة رضا الأساتذة الجدد على مخطط التكوين: تصميم واستعمال درس على منصة MOODLE، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15 (64).
- 6- سمير مهدي كاظم، واقع التعليم عن بعد في الجامعات العراقية في ظل جائحة كورونا، من وجهة نظر الطلبة و أعضاء هيئة التدريس، رسالة قدمت استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التربية، تخصص المناهج و طرق التدريس. تحت إشراف: حامد العبادي، جامعة الشرق الأوسط، حزيران، 2021.
- 7- سعد عبد السلام، التعليم في الجزائر الواقع و الآفاق، مجلة البحوث التربوية و التعليمية، المجلد 9، العدد: 2 (2020).
- 8- بوخودوني صبيحة، بن عاشور الزهرة، سياسة التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19، دراسة تحليلية للتعليمات و القرارات الصادرة من وزارة التعليم العالي و البحث العلمي الجزائرية، مجلة مدارات سياسية، المجلد (04)، (2020).